ومقابل الشعب الاسمى هناك المجتمع القبلي المتخلف الذي يخيب آمال اصدقائه فيه: « ان الاتحاد السوفياتي خابت آماله في بنية المجتمع العربي القبلي ، ووصل الى قناعة بأنه ستمر سنون كثيرة قبل ان يكون بامكانه الارتباط بعناصر جادة في المجتمع العربي »(١٢). انّ اطمئنان اسرائيل يجب ان يبلغ حده الاقصى ، فاذا كان حلفاء العرب لم يجدوا بينهم « عناصر جادة » يرتبطون بهم ، فالاحرى بالاسرائيليين ان لا يحسبوا أي حساب لمجتمع مؤلف من عناصر غير جادة .

الفطرسة العسكرية : اذا كان الشعب الاسرائيلي « شعبا أسمى » ، واذا كانت « الثغرة في المستوى العلمي » آخذة في الاتساع ، زيادة عن اتساعها ، واذا كانت هناك « هوة واسعة » بين حوافز الجندي العربي وحوافز الجندي الاسرائيلي ، فمن الطبيعي والحالة هذه ان يكون الجيش الاسرائيلي جيشا لا يقهر . فحتى من الناحية النظرية البحتة لا يجوز أفتراض احتمال هزيمة الجيش الاسرائيلي . ان أقصى ما تستطيعه الدول العربية هو « ازعاج » اسرائيل ، على حد تعبير يتسحاق رابين ، رئيس الاركان السابق : « ليس في استطاعة الدول العربية وحدها ان تشكل خطرا على كيان اسرائيل بالذات ، قد تزعج الدول العربية اسرائيل ، ولكنها لا تشكل ، في المستقبل المنظور ، خطرا عسكريا على كيان دولة اسرائيل . . . كما لا ارى انه يمكن القول ان الدول العربية تمثل خطرا حقيقيا على اسرائيل »(١٣). وحتى لو كانت الدول العربية كلها مجتمعة ، وقررت ليس فقط شن حرب خاطفة ، ولكن حربا تدوم سنين طويلة ، فان اسرائيل قادرة على رد هذا الهجوم. ان هذا الكلام يقوله رابين ليسمعه الاميركيون، الذين ضعفت ثقتهم بالقوة العسكرية نتيجة تجربتهم في فيتنام ، فهو يقول في خطاب أمام اللجنة الاميركية الاسرائيلية للشؤون العامة بتاريخ ٧٢/٥/٧ : « ان باستطاعة اسرائيل ان تدافع عن نفسها بنفسها ضد قوى العالم العربي مجتمعة ، لاية فترة ممكنة — خمس او عشرين او خمسين سنة — ما دمنا لا نحرم من المعدات اللازمة »(١٤). ان الامر في النهاية يتعلق بالمعدات اللازمة وبثمن هذه المعدات اللازمة ، وبضرورة اقناع من سيدفع ثمن هذه المعدات اللازمة بجدوى دفع هذا الثمن . ويستعين رابين بالتاريخ ليؤكد ان اسرائيل لا يمكن هزيمتها اليوم كما كان من غير الممكن هزيمتها في التاريخ البعيد على يد جيرانها ، « ما لم تتدخل قوة كبرى » ، أما الجانب الاخر الذي لا يكلف نفسه عناء الاشارة اليه ، فهو امكانية قيام الدولة اليهودية بدون دعم الدولة الكبرى : « اننا نعيش في اسرائيل مع ذكرى حقيقة تاريخية بسيطة : ان المناسبتين اللتين تم فيهما تدمير دولة يهودية مستقلة في ذلك الجزء من العالم حيث توجد — وأشير هنا الى الدولتين الاولى والثانية — هما اللتان تم فيهما التدمير على يد قوة كبرى في ذلك الوقت. لم ينجح أحد من جيراننا في الماضي — الفلسطينيون ، الموآبيون ، الميديانيون ، الآراميون، في حشد القوة اللازمة لتدمير الدولة اليهودية »(١٥). لا داعي لتقديم تفسير لهذه الظاهرة الفريدة فخصائص الشعب اليهودي الفريدة هي التفسير . أمام القوى غير الكبرى لا تهزم اسرائيل بغض النظر عن التفوق العددي او التفوق في التسليح . وها هو زئيف شيف ، معلق صحيفة هآرتس العسكري يردد ما يقوله رابين : « لا توجد أية علامات استفهام بالنسبة لانتصار قواتنا . ومن الواضح انه كان من الافضل لـو أن سلاح الطيران الاسرائيلي مزود بطائرات فانتوم اخرى ، ولكن عدم وجود هذه الطائرات لـن يقلب الامور رأسا على عقب »(١٦). نستطيع بالطبع ان نقابل هذا القول لمعلق هآرتس العسكري قبل حرب تشرين بما كتبه معلق آخر من معلقي الصحيفة نفسها — هآرتس، بعد حرب تشرين : « ان جيش الدفاع لم يحقق أبدا اية قوة ردع بالنسبة الى العرب ، وانما على العكس : كلما كانت ضرباته قوية قويت الرغبة في افئدة العرب لتنمية قوتهم ومنازلتنا من جديد »(١٧). ان موشيه دايان لم يكن يكتفي بالقول ان الجيش الاسرائيلي